العدد (1980) السنة الثامنة - الاحد (5) كانون الاول 2010 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

قناديل

بعض تراثنا الشعري مصدر للإرهاب

لطفية الدليمي

قال الشاعر السموأل مفاخراً:

وإنا لقوم لانرى القتل سُبّة
إذا ما رأته عامر وسلول
يُقرب حب الموت آجالنا لنا
وتكرهه آجالهم فتطول
ومامات منا سيدٌ حتف أنفه
ولا ُطل منّا حيث كان قتيل

يزخر تراثنا الشعري الجاهلي بالشوفينية مثلما يحفل بالغزليات ووصف جسد المرأة على نحو لا يجرؤ عليه شاعر ايروتيكي فبعد المطلع الطللي ياتي وصف الخمرة بنوع من التوله يقصر عنه شعراء الخمريات المعاصرون وعندما يفرغ الشاعر من وصف مباهج العشق والمعشوقات والثمل يعرض أغراض القصيدة الأساسية التي غالبا ماتتجه للفخر وتباهي بالغزو ويتغنى الشاعر فيها مستمتعا بمشهد الجماجم وقطع الرؤوس والأيدي والرايات المخضبة بالدم ..

لا نستغرب اذن العنف الذي يقترف ألان طالما هناك مرجعيات تراثية احتلت الذاكرة ، وهي مرجعيات اعتمدها الحكام الشوفينيون مصدرا للفخر وادعاء البطولة الزائفة وماهي إلا منابع يرتوي منها خطاب القتل والارهاب ، ونعثر على هذا التراث المخجل في مفردات مناهج الادب العربي التي تستبعد نصوصا تبشر بالمحبة او تنمي ثقة الشباب بمفهوم الحب الإنساني والتعامل السامي مع المرأة والآخر ، أو تروج للأمل من خلال التعلقات الرقيقة بالطبيعة وجمالياتها أو عبر الإنصات للموسيقى والتأمل وجني الغبطة والفرح من الفنون، وبناء على هذا لا ندهش اذا ما عجزت مناهجنا عن غرس محبة السلام لدى الناشئين وهي تزخر بقصائد الغزو والدم والشوفينية الصارخة فمن أين يتعلم الفتيان والبنات العيش في سلام ويتجهون إلى مشاريع فنية وابداعية تعزز علاقتهم بالمجتمع وتنمي الإخاء وقبول المختلف والتعايش مع المتغيرات .؟.

لاتزال تلك الشوفينية الموروثة تلقي بظلالها على حاضرنا ولايتورع عن المجاهرة بها بعض السياسيين و حشود من شباب يتذرع بأمجاد امة غابرة فيقدس الموت جهارا ويطلق نداءات الفتك ليعيد دورات الزمن عكس اتجاه الحتميات التاريخية ، اناس يحتفون بالموت مخدوعين بالفراديس الموعودة يدفعون بالبلاد الى سبل الشقاق والتقاتل ،وكأن جاهلية عمرو بن كلثوم قد بعثت من جديد وصار الغزو والاغارة والقتل سبلا لحل مشكلات العيش ، مع اختلاف اساسي بين قتلة الحاضر المتزمتين وبين عمرو بن كلثوم التغلبي الذي كان ينشد الغزل المكشوف ويصف الخمرة والقبلات والنهود ثم يبدأ بالمفاخرة وهو يمتدح سيوف قبيلته وبسالة رجالها في القتل والفتك:

نطاعن ماتراخى الناس عنا
ونضرب بالسيوف إذا غشينا
بسُمر من قَنا الخطي لدْن
ذوابل اوٍ ببيض يختلينا
نشق بها رؤوس القوم شقا
ونختلب الرقاب فيختلينا
نجذ رؤوسهم في غير بر
فما يدّرون ماذا يتقونا
بشبان يرون القتل مجدا
وشيب في الحروب مجربينا
وإنّا نورد الرايات بيضا
ونصدرهن حمرا قد روينا
متى ننقل إلى قوم رَحانا
يكونوا في اللقاء لها طحينا

الا يكشف لنا هذا الوصف المسهب لقطع الرؤوس وتحويل القوم إلى طحين ورؤية القتل مجدا وفخرا – عن منبع خطير للتعصب والإرهاب؟؟

٢

يرى بعض المفكرين ان لدى الانسان شهوة مقموعة للبطش بالذات، قبل أن تكون نية مبيتة للآخر، فالعدوان في حقيقته هو شهوة للموت بوصفه دعوة لاستفزاز الآخر ودفعه للهجوم لنيل القصاص على يديه، مقابل أن يكون القصاص هبة مجانية، ولهذا تصح تسمية هذا النزوع الى قتل الآخر عملا انتحاريا يتخلص فيه المعتدي من حياته التي يكرهها لأنها حياة بلا قيمة ولا معنى لها يسقط تفاهتها على كل من يراه مغايرا له كما يحدث في ايامنا. و بعد ان يصف الشاعر عمرو بن كلثوم ساحات الموت يعود للفخر القومي الشوفيني:

ونشرب إن وردنا الماء صفوا
ويشرب غيرنا كدرا وطينا
إذا بلغ الفطام لنا صبي
تخرُّ له الجبابر ساجدينا!

تتحول شهوة البطش بالذات هنا الى إفراط في تمجيد الذات الظالمة التي تمنع جرعة الماء عن الآخر بل تدعه يشرب الطين لأنه ادنى شأنا من أن يشاركها الماء صفوا، وتتعالى نبرة الفخر لتبلغ ذروة إذلال الآخرين بأن يدع الجبابرة يسجدون لصبي تغلبي بلغ عمر الفطام.. لاادري أن كانت معلقة عمرو بن كلثوم الدموية تحتل حتى اللحظة متون كتب الادب العربي في مدارسنا ، فإذا كان الامر كذلك فلا غرابة في ان يتفشى الصلف الشوفيني في نفوس الشباب وهم بلا كفاية وعي ولا نضج تجربة تجنبهم التعصب والانحراف إلى الارهاب.

لغوي بريطاني يتنبأ باختفاء اللغة الإنكليزية

في كتابه الجديد: (آخر لغة مشتركة، الانكليزية حتى عودة بابل) يقدم العالم اللغوي البريطاني "نيكولاس أوستلير" رؤية لغوية واسعة تتصل بدور ومستقبل الانكليزية كلغة عالمية، ان استنتاجه الاستفزازي الذي يفيد بأن الانكليزية ستمضي على الأرجح في طريق السنسكريتية، اللاتينية، وستموت خلال بضع مئات من السنين، ربما سيعطي الأمل للفرنسية مثلما سيسبب الهلع الى اللغويين الأمريكان المتعصبين.
يشغل "نيكولاس أوستلير" منصب رئيس "مؤسسة اللغات المهددة بالانقراض" وهي هيئة غير حكومية وجدت لتدعم وتنشط وتساعد توثيق وحماية اللغات المعرضة للخطر، وهو يقيم حاليا في مدينة باث(جنوب غربي انكلترا).

سعد هادي

نيكولاس اوستيلر

× هل يمكنك أن توضح الفكرة الأساسية في كتابك بإيجاز؟

– إن الإنكليزية الآن في القمة التي لم يكن لها نظير ربما في تاريخ العالم، ولكن تاريخ العالم حافل أيضا باللغات التي سادت لزمن ثم لم يعد هناك الكثير منها من حولنا الآن، إن الفكرة الأساسية هي رؤية ما حدث لتلك اللغات وإن ذلك من الممكن أن يكون له صلة ما بوضعية اللغة الإنكليزية، التي تعد أهم لغة عالمية مشتركة (lingua franca) في الوقت الحاضر.

× ولكن مجموع العوامل التي قادت إلى انحسار لغات كالفارسية مثلا مختلف تماما عما تعيشه الإنكليزية الآن؟

– حسنا، لا خلاف حول ان تلك العوامل كانت مختلفة بشأن الفارسية التي سادت شرق آسيا ثم إنحسرت بسبب إجتياحات معاكسة، بشر جاؤا من عالم آخر أكثر تأثيراً، البريطانيون في الهند من جانب والروس في آسيا الوسطى من جانب آخر، وفي تاريخ اللغات، يتطلب التغير الحتمي عادة بضعة قرون لكي يحدث. وبالنسبة للفارسية فقد استغرق التغيير على الأرجح ٧٠٠ سنة بعد أن لم يعد الفرس يمتلكون وسائل عسكرية أو ثقافية قادرة على ايقاف تدهور لغتهم، أما في حالة لغات مثل اللاتينية فالأمر قد استغرق ألف عام، مع إن أمورا مثل هذه تتطلب زمناً طويلا، لكن لا يوجد سبب للاعتقاد بإن الانكليزية ستكون استثناء خارج المسارات التي يمكن للمرء ملاحظاتها.

× لكن الرأسمالية العالمية، وسائل الإعلام العالمية، السياسة العالمية، ألن تفقد الكثير إذا ما اختفت الإنكليزية في نهاية الأمر؟

– نعم ولكن هذا ما حدث بالطريقة نفسها في الماضي، هل تمتلك توضيحاً بشأن عدم حصول اللاتينية على حياة طويلة بعد اختراع الطباعة، هي لم تستفد من ذلك العنصر المباشر لأن بداية التحول كانت مع جمهور مثقف يقرأ على الأغلب اللاتينية، بينما قاد المسار العام باتجاه تعلم القراءة والكتابة باللغة المحكية الى هزيمتها، في الوقت الحاضر تبدو المجاميع الناطقة بالإنكليزية هائلة العدد في سيطرتها في حين ان هناك طريقاً واحداً للخروج من هيمنة كهذه.

× ماذا عن التكنلوجيا الحديثة وكذلك الوسائل التي تساعد على الترجمة المباشرة بين اللغات، كيف ستشكل المستقبل؟

– إن الحكمة السائدة تفيد ان الترجمة الآلية ليست جيدة بما يكفي، ولكن كل ما يمنعها من ان تكون جيدة هو مشكلة في الدرجة "لا في النوع"، يجري حالياً توجيه الترجمة الآلية بشكل سلس لمعالجة بيانات اكثر عدداً وصولاً الى ايجاد نماذج افضل للترجمة. كما يتضاعف تأثير الكومبيوتر ويزداد رخصاً طوال الوقت، لا مفر من ان المشكلة الصغيرة حول تضارب اللغات ستظل عقبة في الطريق. ولأنها ستنجز عبر البيانات فإن التقنيات ستساهم في حل المشكلة لكل اللغات وليس للمهمة منها فقط ، بل حتى الجماعات الاصلية النائية ستستفيد من ذلك، وهذا الأمر قد يحدث في جيل لاحق وربما قد يحدث سريعاً. وعندما يحدث سيكون باستطاعة البشر ان يكتفوا بلغاتهم فقط وذلك ما حاولوا ان يفعلوه دائما بأشكال مختلفة.

× الحكمة التقليدية تفيد أيضاً ان الأشكال الجديدة في اللغة الانكليزية: اللهجة الجامايكية واللغة السنكليشية (وهي انكليزية محكية يتم التكلم والكتابة بها في سنغافورة وتقوم على النطق الكريولي الخاص بالأشخاص المنحدرين من أصل أوربي والمقيمين في جزر الهند الغربية) سوف تكون غير مفهومة بشكل متبادل، ولكن واقع الحال يشير الى عدم حدوث ذلك حتى الآن؟

– حسناً، إن ذلك يحدث تدريجياً، ولكني اريد ان أحدد الاختلاف بين اللغة التي تنتشر عبر الطبيعة وهي اللغة الام، واللغة التي تنتشر عبر فرضها وهي اللغة المشتركة (lingua franca)، وهذه الاخيرة هي اللغة التي تدرسها عن وعي لأنك تحتاجها، أما اللغة الأم فهي التي تدرسها لأنك لا تستطيع ان تفعل حيالها شيئاً، سبب انتشار الانكليزية حول العالم في الوقت الحاضر يعود الى فائدتها كلغة مشتركة، الـ Globish وهي النسخة المبسطة من الانكليزية التي تستعمل حول العالم ستظل في موقعها طالما كانت هناك حاجة اليها ولكن الى الوقت الذي لن تُعلم فيه كلغة أم، فذلك يعني تلقائياً ان البشر لن يتكلموا بها مع ابنائهم. انها لن تؤخذ بفعالية كأساس. وتلك هي القاعدة الأكثر أهمية لبقاء طويل الأمد لأية لغة.

× انت تدير "مؤسسة اللغات المهددة بالانقراض"، ما نفع ذلك؟

– نصف لغات العالم لها أقل من ١٠,٠٠٠ من الناطقين بها، ويبدو ان تلك اللغات تفقد اولئك الناطقين ايضاً، ان هدف المؤسسة هو اظهار ذلك باعتباره قضية مهمة، وجلب المعنيين بتلك اللغات ليكونوا معاً، وبالطبع سيكون بإمكانهم التعلم من بعضهم بشكل أفضل.

(مقابلة اجراها "روبرت ماكروم" في جريدة الأوبزرفر البريطانية في ٣١تشرين أول ٢٠١٠).

وجهة نظر

قداسة الفكرة في الأغنية السبعينية

خضير فليح الزيدي

ليس من المغالاة إذا أدرجنا الأغنية السبعينية في العراق ضمن خانة المشاريع الفنية النهضوية غير المكتملة والتي لم يُكتب لها النضوج المطلوب لبلوغ أهداف الريادة في النجاح، لذلك يعتبر من المبالغة والتفخيم الأجوف وصف ذهبية عصر الأغنية العراقية ابان تلك الحقبة من القرن المنصرم بألمعية الأغنية العراقية دون تفكيك ذلك المحتوى.. وإذا جاز لنا التعبير في وصفها بالمشروع الفني الأقرب لوضوح الهوية الغنائية الجيلية، فيمكن القول عنها الاستكانة على النمط ذاته الذي باتت عليه ورديفاتها من الأربعينية والخمسينية والستينية، إذ استكانت في شكل المرواحة دون الإفادة من الإرث الفني لما سبقها، دون الإفادة من خاصية التطور.. غير إننا لم نسمع في احد الأيام الآراء النقدية الدقيقة لمسيرة الغناء العراقي وخصوصا ابان تلك الفترة.. النقدية الفنية التي يُراد لها الإطاحة بالسائدية من التوجهات العامة أو في الأقل تفكيك جاهزية الأفكار ضمن مشروع نقدوي حداثوي للمنجز الغنائي العراقي..

إن الكثير من أغنيات السبعينيات هي نتاج مرحلة استقرار نسبي قد مرّ بها العراق، اذ اتيح لشعراء الأغاني او الشعراء الشعبيين بصورة عامة، من التسابق على طرح منجزهم الشعري الى الملحنين، وهم في اغلبهم لا يمتلكون ناصية الثقافة العالمية، متوهمين إن ركب حصان الثقافة الماركسية المسموعة يضعهم على جادة الثقافة السائدة.. ليست لهم تجارب حياتية كبيرة أو مغامرات جنون الشعر.. تختمر أفكار القصائد في اغلبها على موائد الخمر الليلية.. ثم تندرج ابيات الشعر في سياقات متشابهة.

اما القول ان الملحن السبعيني لا يمتلك الثقافة العامة أو الموسيقية المتخصصة، فهو قول صائب في معظمه .. يشتغل على دغدغة الأحاسيس في جمل موسيقية مكرورة ومأخوذة من التراث العربي الشرقي.. يدندن في مشاريع أغنيات جديدة – قديمة معتمدا على قصائد غنائية سهلة المعاني وتدور حول المساحة ذاتها التي اشتغل عليها معظم المنجز الكلامي للأغنية العراقية (الهجران .. العذاب.. الحب المذل للشخصية.. جنون الليل .. المنافقين أو ما يسمى الشمّات ، وهكذا) .. فما ذنب الجمهور في مواكبة احداث مفتعلة وذاتية وفي اغلبها لم تتخلص من الأنانية، لمشروع أغنية سبعينية جلّ فنيتها الاعتماد على حركتين مختلفتين في الإيقاع..

أما مطرب السبعينيات فهو كذلك يسير الركب نفسه ويعاني إضافة الى ذلك من أزمات أخرى كهجر الحبيب أو الزيجات الخائبة أو السلوكية المتذبذبة.. وقد تكون خياراته ضيقة أمام ملحن متسيّد الساحة وشاعر هائم في سحر ليل الخمرة.. فكانت الاغنية السبعينية نتاج البيئة الريفية وليست البغدادية المدنية لان شاعرها وملحنها ومطربها مغرمون بنمط الريف الجنوبي ومنتشون بغزو العاصمة المتمدنة بكل تراثهم الحكائي الريفي..ولان الشعب العراقي تربى بشكل قاس على الماضوية الارثية فأنه اليوم تراه يحنّ الى تلك الأغاني ويعتبرها النموذج الأمثل للمفردة اللغوية واللحنية.. وهي نتاج حانات الخمر شعرا ولحنا وتطويحا.. وعلى سبيل المثال إن الأغنية العراقية بشكل اعم كانت لها مسارات مغلوطة منذ النشأة الأولى.. أبان مرحلة الكويتي والغزالي وسليمة مراد والهوزوز ورضا على وغيرهم .. بداية أكثر مسطحة خالية من التأويل والمعنى والصورة وحتى نسغ الحكاية فهو البعيد عن روح الشعر..

لو قمنا بترجمة الأغنية الغربية سنحصل على صور شعرية وحكاية مشوقة عن نمط الحياة العادي ..شخص جلس في الصباح يشرب القهوة ويتطلع الى جريدته ، فتلتقط عينه خبر انتحار فتاة، الحبيب مثلا ذهب الى منجم الفحم دون وداعها.. هناك حكاية وحدوتة دوّنت بشاعرية ورومانسية.. كذلك سنجد تغيير نمط الشعر في الأغنية الفيروزية وتأثير الاوبريت الايجابي على فكرة الأغنية الفيروزية.. لذلك نجد الخلود لأغانيها على مر السنين. بعكس اغاني الراحلة ام كلثوم نجد اللحن الجيد والكلام البسيط غير الشاعري وقوة في الاداء..

إن التأمل وإعادة نمط إنتاج الفكرة ستجد إن الكثير من أغاني السبعينيات هي نمط من الأغاني البائسة شعرا ولحنا وغناء ، طبعا باستثناء بعض أشعار النواب وزامل سعيد ذوات الصور الشعرية الرصينة..

لأننا ماضويون بامتياز فندافع عن غث وسمين كل تراث الأغنية السبعينية العراقية، ولو أتيح التمعن بتجرد العاطفة على الإرث الفني من ذلك الغناء سنجد إن الكثير من تلك الأغاني هي قوالب جاهزة لبؤس الإنسان وضحالة تفكيره .

نص

إحتيال على الزمن

عادل مردان

منحنياً مثلَ موسيقارٍ عاطل
أتفرّسُ بالأحجار
بغموضها السرمديّ
والزمنُ من خلف الحُجب
يلهو بياقتي

×××

بينما أشتمُ بحنق
يصرخُ: لا تشتُمْ
سألقي بكَ خارج السُدم
من أنت
أيتّها الذرّةُ المتبجّرة؟

×××

أيّها المتعالي
أتفرحُ بأندحارِ الظلّ ؟
مَنْ يرتضي بدقائقكَ
الفولاذيّة؟
وأنتَ تسحقُ أجملَ المخلوقات
ألم يكن الإنسانُ دُميتكَ
الممتعة؟

×××

نحنُ السائرينَ بلا قصد
نربطكَ بحبلِ خوفنا
ونسخرُ من أنفكَ الألوهي

×××

بعدما عَدمتُ الحذر
أدرسُ حيَلاً أُخرى
أنجعُ السُبلِ أنْ ندمنَ
القصائد
وحينَ يزمجرُ الزمنُ برعوناته
نقرأُ شعراً عظيماً
فترتخي مفاصلُهُ كالباب
سيكون أكثرنا رقةً
مَنْ يغمدُ سيفنا
في قلبه

متابعة

الفن الناجي من حرب هتلر

ترجمة: عمار كاظم محمد

مازال الماضي يدفع نفسه مرة أخرى الى العناوين البارزة في برلين من حين لآخر مثل قنبلة لم تنفجر في مكان ما ، وهي الان تظهر على شكل فن، ففي شهر كانون الثاني الماضي كان العمال يحفرون نفقا جديدا قرب قاعة المدينة كشفت الحفريات عن وجود تمثال نصفي لأمراة كان صدئاً وقذرا ومن الصعب تمييزه لكن الباحثين اكتشفوا ان هذا التمثال النصفي كان لفنان الماني منسي يدعى ادوين شارف يعود الى عام ١٩٢٠ وقد بدا هذا الاكتشاف غريبا في وقت الى ان تم العثور على المزيد من التماثيل النحتية في آب الماضي بالقرب من المكان نفسه حيث وجد تمثال " الفتاة الواقفة " ل"أوتو بوم " وتمثال الراقص ل" مارغ مول" و بقايا رأس ل اوتو فرويندلخ كما انقذ المنقبون اجزاء أخرى حيث وجد تماثيل لرؤس مختلفة وتمثال للفنانة ايمي رودر يدعى " امرأة حبلى " كما تم اكتشاف مجموعة أخرى في شهر تشرين الاول الماضي .

لقد اثبتت التماثيل الاحدى عشر المكتشفة انها نجت من حملة هتلر ضد ما كان يدعوه النازيون "الفن المنحط " حيث اختفت تلك الاعمال من المتاحف الالمانية في الثلاثينيات وتم اخفاؤها تحت الأرض قرب القاعة الرئيسية في المدينة وقد نظم معرض بسيط من هذه المكتشفات في متحف نيوس في برلين .

ومثل الاعمال النحتية ازدهر هذا المتحف بعد كل هذه السنوات من الخراب الذي أعقب الحرب حيث أصبحت عملية اعادة اعمار البناية شهادة للتاريخ الألماني يحمل شهوده بدليل الضرر الذي اصابه حيث لا الزمن ولا الاجيال التي مرت يمكن ان يمحيا ذلك العنف الذي شهده نتيجة للحرب .

تلك الاعمال كانت شبه تكعيبية او تعبيرية ليس حجمها اعلى من قدم واحد كانت منظفة لكنها مازالت تحمل خدوشا تدل على التناظر الانساني الواضح . الشاعر والناجي من المحرقة بول كلين يأتي هنا في سياق مختلف حيث استعارة القناني التي يتم رميها في المحيط " على شاطئ القلب " وهاهي تغتسل اخيرا على اليابسة فهذه التماثيل كالموتى تعود الينا ولكن كأشباح متالقة.

في بلاد ظلت لعقود مجتهدة بشكل كبير في كشف جرائمها وتأطيرها ضمن سياق التاريخ فان من الطبيعي ان يكون هذا المعرض قد وضع جنبا الى جنب مع الافاريز الاشورية التي تشير الى نظام استبدادي قديم .

هل قرر الاثاريون حتى الان استعادة الاعمال التي وجدت في الموقع الذي يقع عبر الشارع تحت قاعة المدينة ؟ لقد كانت البناية تعود الى امرأة يهودية تدعى اديث شتاينتز وكان هناك عدة محامين يهود يستأجرونها عام ١٩٣٩ لكن أسماءهم محيت من السجل بحلول عام ١٩٤٢ حينما غدا البيت ملكا للرايخ ومن بين الشاغلين لهذا البيت يعتقد الباحثون الألمان المرشح الاكثر احتمالا لحيازة تلك الاعمال الفنية هو ارهارد اوردريخ محامي الضرائب ووكيل خاص ، ان ارهارد غير معروف على نحو واسع لكنه اشتهر بتهريب العوائل اليهودية من اضطهاد الرايخ الثالث وقد كتب ولفجانج ابندروث وهو معارض ويساري نازي كتاب توصية به عندما تعرضت حياته الى الخطر آنذاك .

النظرية الحالية حول تلك التحف تقول حينما قامت غارات التحالف بقصف البناية سقطت محتويات مكتب اوردريخ الى الارض ثم انهارت البناية تماما حيث أتاحت عمليات البحث الحصول على رماد من الموقع يحتوي على بقايا صور وتماثيل من الخشب لكن كيف انتقلت ملكية تلك الأعمال الفنية الى اوردريخ؟! ذلك ما يبدو غير واضح لحد الان .

عبر الشارع من متحف نيوس يوجد معرض معاصر يظهر الأعمال التي كان يأمل النازيون في استئصالها لكن بدلا من ذلك اعطى مدينة برلين هويتها الحالية كعاصمة للهدوء وهي المدينة التي تجتذب جماهير الشباب هنا الى الابد في دولة غدت قلقة وغير متأكدة وحذرة انكسرت على العموم لكنها متفائلة بشان المستقبل من خلال الاختلاف حيث لا تستطيع المانيا الهروب من ماضيها.

■ عن: هيرالد تربيون